عصر الولاّة

تمّت الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب وبات لزاما على مسؤولي الدولة الإسلامية آنذاك من تأكيد سلطتها على إقليم المغرب، باعتباره إقليما إسلاميا أمويا فصار بذلك عبء تسيير شؤونه على عاتق الدولة، والتي صارت تعين من يدير هذه الشؤون، وتولى حكم بلاد المغرب مجموعة من الصحابة والقادة والولاة، وقد أطلق المؤرخون على هذه الفترة بـ" **عصر الولاة**" والتي أصبحت واقعا قانونيا وجزءا من دولة الإسلام، ويعتبر عصر توطيد أركان الدين الإسلامي في المغرب فنهاية القرن الثاني هجري مثلت في معظمها عصر الولاة، وقد أسلم سكان المغرب أو البربر على يد هؤلاء الولاة وأضحى المغرب بلدا إسلاميا يشارك غيره من أقطار العالم الإسلامي في بناء الحضارة الإسلامية، ويرجع الفضل كله في ذلك إلى الولاة المتعاقبين على حكم المغرب ومنطقة إفريقيا بشكل عام، وهم الذين أقبلوا على حملات الفتح فيها واستقروا بها بعد الفتح وتفانوا في تعليم سكانها لمبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية.

وقد استمرت فترة الولاة حوالي ربع قرن تعاقب خلالها على حكم البلاد مجموعة من الولاة توزعت اهتماماتهم بين توسيع مجال الدولة وأقطارها، وتنظيم البلاد إداريا وسياسيا وماليا، والواقع أنه في هذه الفترة كانت البلاد التي يفتحها المسلمون تدار أمورها بصورة صارمة بالقدر الذي كانت تسمح به الأوضاع الأمنية وصعوبة المواصلات وفق سياسة تضعها الحكومة المركزية، ويلتزم عمالها وولاتها بتنفيذها.(1)

ولاية عقبة بن نافع:

عين عقبة بن نافع من طرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي قرر فصل إدارة منطقة إفريقيا عن مصر وإمرتها، وذلك سنة 50هـ وذلك عندما عين واليا عليها، وقبل ذلك شارك عقبة بن نافع في عدة حملات في إفريقيا أهمها الحملة التي قادها معاوية بن خديج سنة

45هـ، وحقق خلالها جيش المسلمين انتصارات مهمة منها فتح الصحراء الجنوبية أي فزان وكذا أجزاء من سرت.

وتعد ولاية عقبة بن نافع في بلاد المغرب من الأحداث التاريخية المهمة في فترة الفتوحات الإسلامية، فقد كان قائدا عسكريا مشهورا ولعب دورا بارزا في توسيع الرقعة الإسلامية في شمال إفريقيا...ودخل عقبة المغرب أكثر من مرة تارة قائدا وتارة جنديا مقاتلا مع بقية المقاتلين، وعندما اكتشف عمرو بن العاص شخصية عقبة العسكرية وما يتميز به من مقدرة قيادية، وشجاعة فائقة، وحماسة شديدة لنشر دين الإسلام، وإعلاء كلمة الله، اختاره لقيادة الجيش في حملة لفتح زويلة وقد تمكن عقبة من فتحها وصارت المنطقة الممتدة بين برقة وزويلة تحت سيطرة العرب المسلمين الفاتحين، ولقد أدرك عقبة بخبرته الواسعة في شمال إفريقيا ومعايشته للأحداث أنه لا يمكن للعرب أن يثبتوا أقدامهم وينشروا الإسلام إلا بوجودهم المستمر في المنطقة.(2)

ومن هذا المنطلق أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان بتونس حاليا وكانت عاصمة إسلامية في منطقة المغرب وشمال إفريقيا، وبهذا أصبحت هذه الأخيرة ولاية إسلامية والقيروان عاصمة لها، وعرفت ازدهارا حضاريا وثقافيا وعمرانيا كبيرا ومركزا سياسيا مهما للدولة الإسلامية، وأضحت بلاد المغرب في ولاية عقبة قاعدة لسير الفتوحات الإسلامية نحو مناطق أخرى أبرزها الأندلس، وساهم بذلك عقبة بن نافع في تثبيت دائم للوجود الإسلامي والمسلمين في المنطقة بعد تأسيسه لمدينة القيروان.

وفي سنة 55هـ ارتأت الخلافة اعتماد نهج جديد في بلاد المغرب يقوم على أساس كسب ثقة وولاء القبائل المحلية ونشر الدين الإسلامي بينهم باللين والابتعاد عن الحروب والحملات العسكرية، وبما أن عقبة بن نافع كان قائدا عسكريا ومحاربا صارما وشديدا، طلبت منه الخلافة الإسلامية التخلي عن ولاية المغرب واستدعت بدلا عنه واليا سياسيا

يمتلك القدرة على تحقيق أهداف الدولة الجديدة، وعين بذلك خليفة له القائد أبي المهاجر دينار.

ولاية أبي المهاجر دينار:

هو رجل فاضل من أهل الدين وخاصته اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز لولاية سكان إفريقيا، فدخل إلها سنة 55هـ على رأس جيش كبير من المسلمين، واستقر بالقيروان وقام بإخضاع القبائل البربرية التي كانت تقطن الجبال ونشر الدين الإسلامي بينهم وواجه عدة ثورات مناهضة للوجود الإسلامي، وأهم هاته المقاومات مقاومة القائد كسيلة الذي تحالف مع البيزنطيين من أجل محاربة المسلمين وتواجدهم في البلاد المغربية، إلا أن الجيش الإسلامي انتصر في المعركة وهزم جيش كسيلة حلفائه من البيزنطيين ووقع أسيرا لدى أبي المهاجر دينار فأحسن إليه وأصبح من مقربيه بعد إسلامه، وحاول أبو المهاجر العمل على التقريب بين البربر والعرب من خلال توطيد الصلة بينهم والتي ظل البيزنطيون يحاولون تفكيكها ونقض التحالف بين القائد كسيلة وأبي المهاجر دينار.

وقد عرفت ولايته لبلاد المغرب دورا كبيرا في نشر الإسلام وتعليم العلوم الدينية والدنيوية وذلك نتيجة لسياسته الحكيمة والتي انتهج خلالها اعتماده على المعاملة الحسنة لسكان المنطقة وتثمين التحالف بين البربر والمسلمين الفاتحين، ما أدى إلى تآلفهم واندماجهم تحت مجتمع إسلامي موحد، واستشهد أبي المهاجر دينار جنبا إلى جنب مع عقبة بن نافع رغم كل الخلافات التي كانت بينهما في معركة تهودة والتي استشهد فيها عدد كبير من الصحابة والتابعين ولكن آثار الرجل ظلت قائمة تشهد على حكمه الراشد في المنطقة وسيرته الطيبة في بلاد المغرب وأهم هذه الآثار بناء مسجد سيدي غانم بميلة، وتأسيس مدينة تاكروان بتونس.

ولاية حسّان بن النعمان:

قبيل تعيين حسّان بن النعمان واليا على بلاد المغرب كانت الأوضاع الأمنية والسياسية بالمنطقة تعرف توترا واضطرابا شديدا في أحوال البلاد المغربية، وذلك بسبب انشعال نار الفتن فيها لتعدد الزعامات وبروز الأطماع الشخصية في الرئاسة والسلطة، بالإضافة إلى الخطر البيزنطي الذي عاد إلى الظهور بعد سكونه لمدة طويلة من الزمن في محاولة لاستعادة الحكم في باد إفريقيا، وهذه الأوضاع والظروف مجتمعة اضطرت الخليفة عبد الملك بن مروان إلى إرسال والي جديد إلى المنطقة ليقوم بإدارة شؤونها وتأمين أهلها من جميع المخاطر، وقد اختار لذلك حسان بن النعمان الغساني أن يكون واليا على بلاد المغرب وشمال إفريقيا.

وقد دخل حسان بن النعمان شمال إفريقيا على رأس جيش كبير من المسلمين وقاتل كلا من البربر والروم متفرقينلمنعهم من التحالف والتكتل، فكانت قرطاجنة أول أهدافه في المنطقة باعتبارها قاعدة للروم إلى أن تم الاستيلاء عليها وفتحها من طرف الجيش الإسلامي وتشتيت صفوف البيزنطيين وتهجيرهم من المنطقة.

وتعد الانتصارات المحققة في قرطاجنة قرر حسان بن النعمان العودة إلى القيروان للاستراحة وإعادة تنظيم الصفوف لمحاربة القبائل المحلية بقيادة الكاهنة، والتي كانت قد أحيت المقاومة المحلية حينما اعتقد المسلمون أنهم أخمدوها بعد فتح قرطاجنة وتشريد الروم و حلفائهم من البرانس، وتعد المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان من أعظم وأكبر المعارك التي قادتها الجيوش الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا، وعرفت هزيمة جيش حسان بن النعمان على يد الكاهنة وقتل العديد من المسلمين وأسر آخرون، وانسحب على إثر ذلك جيش حسان واستقر ببرقة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان واستقر بها لمدة خمس سنوات كاملة، ينظم فيها الجيوش وينتظر الإمدادات من المشرق، وقد استغل في

هاته الفترة الأخبار التي ترده عن أحوال الكاهنة والقبائل الموالية لها، وعن الانقسامات بينها وبين تلك القبائل وأعاد مهاجمة المنطقة، وتمكن من القضاء على الكاهنة وحلفائها وقام بفتح البلاد التي كانت تحكمها.

وقد عمل حسان بن النعمان خلال ولايته على البلاد المغربية وشمال إفريقيا على اتباع سياسة استمالة القبائل المغربية من خلال تعيينهم في مناصب هامة وكقادة لتلك القبائل، وذلك قصد إشعارهم بأهميتهم في إدارة المنطقة والدولة الإسلامية ككل باعتبارها ولاية لها كونهم جزءا منها، كما عمل على ضمان النصر في بلاد المغرب وإبقاء التواجد الإسلامي فيها من خلال بناء قاعدة حربية لمواجهة الخطر البيزنطي، وقام ببناء مدينة تونس كما كانت له أعمال ومساهمات عمرانية كثيرة أهمها إعادة تعمير مدينة القيروان.

ويعتبر حسان بن النعمان من الأوائل الذين أعطوا بلاد المغرب الطابع الإسلامي بعد تحريرها من الروم البيزنطيين من خلال المساواة بين العرب الفاتحين والسكان الأصليين لها، وعمل على تحبيب الدين الإسلامي في مناطق واسعة من إفريقيا ونشر العادات والتقاليد العربية والإسلامية وكذا تعليم اللغة العربية، فكانت بذلك بوادر بناء مجتمع إسلامي عربي في المنطقة.

ولاية موسى بن نصير:

ارتدت البربر بالمغرب اثني عشرة مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا بعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده، ودرس موسى بن نصير تجارب الرجال السابقين عليه، وأدرك أن المهمة الأولى تتلخص في ضرورة إنهاء الوجود الرومي البيزنطي وقواعده التي تقف عقبة أمام استمرار عملية الفتح، لاسيما في مناطق إفريقيا في تونس وغرب ليبيا اليوم استطاع موسى أن يهزم قبائل البربر التي خرجت عن طاعة المسلمين.(3)

وقد تولى موسى بن نصير ولاية بلاد المغرب بعد حسان بن النعمان قام خلالها بعديد الفتوحات في المغرب وإفريقيا وقاد عدة حملات عسكرية ناجحة ضد القبائل البربرية مخضعا معظم المنطقة لحكم الخلافة الأموية، وانتهج خلالها سياسة الحزم والعمل واستطاع بذلك القضاء على جيوب المقاومة في إفريقيا واستطاع إخضاع البربر الذين خرجوا طاعة الخلافة الإسلامية، وقد استطاع أن يجعل من مدينة القيروان قاعدة أمنية تنطلق منها عمليات الفتح نحو المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

ورغم الإنجازات الكبيرة التي حققها موسى بن نصير في بلاد المغرب وإفريقيا إلا أن مسيرته خالية من المشاكل، فقد واجه صراعات سياسية مع الحكام الأمويين في دمشق واتهموه بالطموح المفرط وعند عودته إلى دمشق أوقف وسجن بها ثم توفي بالسجن.